عظة عيد القديس أنطونيوس
في كنيسة القديسين أنطونيوس وبورفيليوس
في ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٢

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

يا أحبة، كما لاحظتم ووعيتم من خلال اشتراككم للخدم الإلهية التي قمناها أثناء هذه الأيام المباركة، أيام تجسد الرب وظهوره لنا، بأن الرب يسوع هو ابن الله، هكذا قال عنه يوحنا المعمدان وقال عنه أيضاً بأنه هو الحمل، الذبيحة الذي يكفّر خطايا العالم، الذي يموت عن كل إنسان مذنب، هو الكاهن الإلهي الذي أراد أن يصبح إنسانا وبحنانه ورأفته، أراد أن يتألم، أن يصلب عوضا عنا. وبالفعل أن خطايانا وأن ذنوبنا وأن تصرفنا السيء هو الذي وضع الطهارة على الصليب.

يسوع الإله صار إنسانا لكي يتمثل به كل إنسان وليس من إنسان صالح. والخلاص هو أن يرجع الإنسان ويصبح صالحا وما صالح إلا الله كما قال يسوع لذاك الآتي إليه عندما قال له، أيها المعلم الصالح وأجابه يسوع بأن ليس صالح إلا الله. لأن الإنسان أتى إليه ظانّاً بأن هذا المعلم هو إنسان وحسب ولكن من منكم بلا خطيئة، كما تتذكرون فليرم الخاطئ بحجر.

إذاً الصلاح هو من الله ونحن نعلم بأن يسوع الإنسان هو إله أيضا وهو صالح، فأصبح لنا بتجسده، مثالاً، قدوة، كأننا نستطيع إذا أردنا أن نصبح من جديد صالحين، إذا تشبهنا به وإذا سرنا سيرته وعشنا عيشته الصالحة. ليس صالح إلا الله فالله صار إنسانا لكي نستطيع نحن أن نتمثل به وأن نرجع إلى الصلاح الإلهي ونخلص لأن الخلاص الحقيقي، نحن نقول يا مخلصنا خلصنا بشفاعة والدة الإله، لكن من ماذا؟ خلصنا من الحالة التي نحن فيها وهي ليست إلهية. فعندما نصعد صلاتنا إلى الله نسأله أن يعيدنا إليه، إلى النقاوة إلى الطهارة إلى إنسان الفردوس.

ولد يسوع، اعتمد يسوع ويوحنا ارتجف أمامه وقال: كيف تأتي إليّ لتعتمد وأنا عليّ أن أعتمد منك. ولكن يسوع الإنسان الذي كل إنسان آتي ليوحنا يراه إنسانا إن لم يعتمد. ألم يقل هؤلاء بدون أن يتدرجوا في القداسة؟ لماذا هذا لا يعتمد؟ يتهموه إذاً بالكبرياء لأنهم يأتون إلى يوحنا ليعتمدوا لمغفرة الخطايا، عندما قال يسوع له أتمم كل برّ أو جئت لأتمم كل برّ أي كل قداسة، أي جئت لأطيع الله وطاعة الله هي القداسة ولذا عندما سأل يوحنا الجمع أن يأتوا إليه ليعتمدوا لأن الله يريد بشراً أنقياء ولهذا يسوع قال: أنا جئت لأعلم الناس الطاعة. إذا قال إنسان لا أقدر، أنا يسوع الإنسان أقول لهم تقدرون وأنا أتيت قبلكم. فاعتمد مطيعاً، فعلّم الناس الطاعة. وبعدئذ يقول الإنجيل، أخذه الروح إلى البرية وأتى الشيطان ليجرّبه. ماذا أراد يسوع من هذا الأمر؟ ليقول يا ابني من أراد أن يتبعني، من يريد أن يصبح نقياً طاهراً إلهياً. الشيطان واقف عند الزاوية، يعني الإنسان الذي يريد أن يصبح قديس ولا نقصد فقط الذي يجلس في البرية أو بالدير أو الكاهن، بل يقصد أن كل إنسان اعتمد

بالمسيح عليه أن يلبس المسيح، أن يحافظ على لباس المسيح، أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم، المسيح قد لبستم.

يسوع أراد أن يقول للجمع ولكل الناس ولنا، لا تستغرب، إذا أردت أن تدخل مملكة المسيح فالشياطين ستهجم عليك، يعني تصير التجارب قوية، يصير الشيطان يجرّب أن يبعدك عن المسيح، لأن الشيطان لا يفرح كون الإنسان مع المسيح. لهذا السبب، نحن نسمي الآباء الذين عاشوا في البراري، في القفار، في الصحاري، نسمي البار المتوشّح بالله أي لابس وشاح، لابس الله، أي أيها البار اللابس الله تشفّع من أجلنا. الكنيسة تريد أن تقول بأن هذا الإنسان الذي ذهب إلى البرية كان عمله من نصف الليل لنصف الليل، من الصباح إلى الصباح الثاني أن يعمل بالحرب ضدّ الشيطان. عمله الصلاة طوال الوقت، أي يحكي بالله حتى لا يأتي كلام الشيطان على فكره. عمله حمل بارودته الروحية ويطلق النار على الشيطان أينما كان.

المطلوب منا ذات الأمر، ولكن أيضاً القديس الذي في البرية، يوحنا المعمدان أولاً ولاحقاً أنطونيوس وغيرهم من القديسين، هو ليقول لنا، أنطونيوس يقول: يا أخوتي، لا يمكنكم القول بأنكم لابسين المسيح، أي المسيحية، أنتم ولادة طبيعية، أنا ولدت من أم لكن هناك ولادة التي هي فوق الطبيعية، عندما تعمّدت أصبحت إلهي، هذه ولادة إلهية ولبست المسيح والروح القدس بختم الميرون عليّ حتى يتحرك كل جسمي بكلمة المسيح. أي عندما أشمّ، عليّ فقط أن أشمّ الرائحة الطاهرة. على عيوني أن لا ترى إلا الأشياء الجميلة، يجب أن لا أوسّخ يداي بالأعمال السيئة.

أنطونيوس يقول لنا: أنا أريد أن ألبس المسيح لكنني أختبر حتى يكون تعليمي صحيح. هو معلم للرهبان ولنا، ولكن المعلم لا يمكن أن يعطي ما لا يعرف، هناك أناس تتفلسف بأشياء تجهلها. أنطونيوس لا يحب أن يتفلسف، يحب أن يعيش. عاش خبرة القداسة. يقول لنا: يا أولادي، يا أخوتي، يا رفاقي، أنتم إذا لبستم المسيح وتريدون الحفاظ على الوشاح، على اللباس، حافظوا على المسيح فيكم، لا يمكنكم الحفاظ على ثوب المسيح، شققة واحدة. أنتم تعلمون أنه عندما كان الحراس على الصليب، كانوا يقترعون على لباس يسوع. هذا اللباس الذي كان على جسمه، كان شققة واحدة وكأنه يقول لنا: أنا لا شيء، مزّق لي ثوبي. إذاً أنا كمسيحي، ولدت بالمسيح وأنا أحمل اسم من ولدني، فعلى اسمي مسيحي لأن يسوع ولدني من جديد، فعليّ الحفاظ على ثوبه دون أن يتوسّخ ويمزّق ثوب يسوع. نظيف جداً، كلمة صغيرة، فكر صغير وسخ يؤذون الثوب، كذلك عمل سيء. فاليوم أنطونيوس يقول لنا، يا أحبائي، أنا مثل المسيح الآن أبكي من أجل خطايا الناس، أنتم يجب أن لا تسمحوا للخطيئة أن تدخل عليكم، ولكن الانتصار ليس منكم بل من الله، أي عليّ السماح لله أن يدافع عني، أي ليس عليّ أن أكون عنيداً. كان الكتاب المقدس يسمّي اليهود في العهد القديم ذو الرقبة القاسية، هذه العبارة عندنا تعني العنيد. المؤمن إنسان رقبته ليّنة كثيراً. نحن نمزح عندما نقول للرجل أنت رأس المرأة وأنتِ رقبته أي تدوّر له رأسه. أنا أريد أن أقول طوبى للمرأة الأم في كل حين، هي أم، فيها عاطفة الأمومة، هي القادرة أن تولد الإنسان من جديد، أي المرأة الجيدة حتى لو كان زوجها

عكس ذلك، إذا كانت مسيحية حقّها تبرم البيت رأسا على عقب. أما إذا كان رأسها قاسي ورقبتها أيضاً، إذاً هم بحاجة لشخص ثالث ليفرك لهم رقبتهم.

أنطونيوس يقول لنا في عيده: يا أخوتي أنا فرح لأنكم أتيتم إلى عيدي، لكنني أتمنى أن تسمعوا لي، أنا اختبرت آلام كبيرة، حتى هلكت، لكنني كنت أترك الله يعمل عني. يعني لم أكن أخاف وعندما أفعل أصلي من أعماقي صرخت إليك يا رب. لا أحد قوي، كل قوة هي من الله لا منا. الإنسان لا يقدر أن يفعل شيئا بل الله.

أخيراً قال بولس الرسول لأهل غلاطية: أقول لكم، اسلكوا بحسب الروح ولا تقضوا شهوة الجسد أي الخطيئة، الجسد هنا يعني الإنسان القديم أي الأفكار السيئة، الإرادة السيئة تحركنا السيء، فإن الجسد أي الإنسان القديم يشتهي ما هو ضدّ الروح، والروح الإلهي في الإنسان يشتهي ما هو ضدّ الجسد، كلاهما يقاوم الآخر، بحرب ضدّ بعضهم حتى إنكم لا تصنعون ما تريدون. أي الأشياء التي أريد أن أعملها لا أفعل. يريد أن يعلمنا أنه أحيانا الشيطان يأتي ليهلكنا. أنتم تقتادون بالروح أما أعمال الجسد فواضحة. أعمال الجسد أي الخطيئة أي الإنسان القديم الذي صلب ربنا على الصليب، هي الزنى، النجاسة (كل عمل نجس)، العهد، عبادة الأوثان أي التملك، الطمع، السحر، العداوات، الخصام، الغيرة التي تقتل، الغضب، المنازعات، المشقات، البدع، الحسد، القتل، السكر وكل ما يشبه ذلك. هؤلاء الذين يصنعون مثل هذه الأمور لا يرثون ملكوت الله، أي يدقون يدقون ولا أفتح لهم، أنا أنكرهم. أما الذين يسلكون بالروح فيعيشون بالمحبة، هذه هي أثمار الروح المحبة، الفرح، السلام، الصبر، اللطف، الصلاح، الإيمان، الوداعة، هذه الثمار، هذه الأمور لا شيء ضدّها، هي أقوى من كل شيء.

إذا ضربت القنبلة بالرمل لا تنفجر. لهذا، الوديع إذا جاءت القنبلة عليه، لا تنفجر، إذاً الذين للمسيح صلبوا، قتلوا إنسانهم القديم، قتلوا جسدهم القديم مع كل ما يسمّى شهوة وشيء سيء، فإن كنا نعيش في الروح فلنسلك بالروح وإذا سلكنا فثمارنا هي المحبة والفرح والصلاح والسلام والوداعة وما شابه هذه الأمور. من يحب الآخر يسمع له. إذاً أتمنى أن يكون لنا أذنان للسمع حتى نسمع ولا تكون رقبتنا قاسية. آمين.